الشعر والسياسة

ياسين طه حافظ

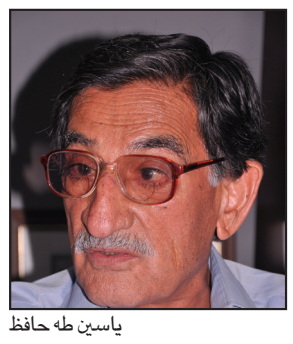

ياسين طه حافظ

إن الاتجاهات الرمزية - الرومانسية شاعت في الشعر وجذبت الشعراء حتى عصرنا. وقد كانت تميل نحو الآراء السياسية المتطرفة، المحافظة أو الرجعية في الأغلب وليس التقدمية ذلك لان المواقف الرمزية - والرومانسية تستلزم ضمنا درجة عالية من العزلة او الاغتراب عن المجتمع. على اية حال، الافكار التقدمية لم تكن واضحة الا بعد ١٩١٧، ومع حركات النضال الشعبي والافكار الاشتراكية والتوتر الصعب والخطير مع الفاشية.

5-3

ارنولد كيتل

وادراكاً من الاستاذ "ارنولد كتل" Arnold Kettle لارتباط الشباب السياسيين من ابناء الطبقة الوسطى والذين كانت لهم نشاطات يسارية أشار إلى: ان الظرف كان يتطلب ان يكونوا سياسيين على نحو اكثر مما كانوا.

وما يهمنا من هذا العرض او ذاك، هو ما يمكن ان نستنبط من سبل يمكن للكتاب والشعراء بواسطتها الارتباط باحتياجات زمنهم وصراعاته لا سيما زمن التحول من مجتمع برجوازي اساسا الى مجتمع اشتراكي او راغب في الاشتراكية. أو من خاضع للامبريالية إلى الاستقلال كيف يمكن لهذه الحركات الاستفادة من أفكار الكتاب وتجاربهم وهم يستخدمون اللغة استخداما ابداعياً ملاحظاتهم تنفذ الى جوانب خافية من الواقع. معنى هذا، كيف هي الاستفادة من الفن الادبي اجتماعياً؟ يرتبط هذا بحديثنا كيف تكون القصيدة السياسية او كيف تبقى فناً.

المؤكد ان نفوذ السياسة وحضورها الشديد في عصرنا الحديث، كان بسبب حركات التحرر الوطني والنضال الشعبي من جهة والافكار المؤسساتية المضادة من جهة أخرى، وان عامل الحرب الباردة كان من القوة بحيث يجب على كل دارس أدبي أن يعيها منذ البداية وإلا فإن الفرصة ستكون ضعيفة للخروج بتقويم موضوعي. لكن هذا الحكم تخللته رجّات مخيّبة، ومواقف محبطة أو محيرة. اودن الثلاثيني البارز والماركسي (مبكراً)، يقول في قصيدته ١ أيلول ١٩٣٩:

أجلس في احدى الحانات الرخيصة
ففي الشارع ٥٢ غير واثق وخائفاً
بينما تتلاشى الامال الكبيرة
لعقْد من الزمان وضيع ومضلّل..

ونعرف ان وراء هذه المواقف الشعور باللاجدوى وأخطاء اليسار والأخطاء والسخافات الشخصية. لكن هذا لا يعني ابداً أن الموقف ضد اليسار لم يكن مركزياً وموجهاً. خطأ اعتباره مثل تلك المواقف العابرة، الشخصية التي صحبته فهذه ضد الحال والواقع الشخصيين. ولعلي استطيع الركون إلى نقاط أساسية: تقع بين آمال اليسار البريطاني والهزيمة في اسبانيا وحملة التطهيرات في موسكو ومعاهدة عدم الاعتداء السوفيتية الألمانية ١٩٣٩. هذه كلها استُخدمت منطلقاً هجومياً لمدة طويلة من بعد وحتى اليوم مع تفرّعاتها الجديدة التي تفرزها السياسة المضادة ويعبّر عنها الأدب.

هذه الأحكام او هذا التضليل، وصل حداً أن شاعراً بحجم اليوت يقول:

"لو علمت بوجود بقّة مرفّهة جيدة في موسكو، لكان رأيي في الشيوعية أفضل مما هو عليه() ".

هنا كما ترى تختلط الأسباب الفكرية بالذاتية والطبقية، ولهذه نتائج، كما سيتضح لنا من بعد.

ثمة أفكار عديدة متشابهة ومختلفة ظهرت في الثلاثينيات وبعدها. "ماكنيس" يقول: "ان القصيدة تتراجع عن كتابة الكماليات وتصبح أكثر عملية.." وهذا الكلام صدى لنداء "ماك دايرميد" في قصيدته "ترنيمة ثانية إلى لينين" ، اذ يقول:

الشعر مثل السياسة
يقطع الجلبة ويقطع الغابات

ويوضح موقفه: بأن الشيء المهم هو وجود متعة فعّالة ذات أوجه عديدة لكلية الأشياء. أما أودن Auden الذي ضعف التزامه السياسي من بعد، فله تعبيره الخاص عن الحاجة نفسها. في قصيدته "رسالة إلى لورد بايرون" :

أريد شكلاً كبيراً استطيع أن أسبح فيه
وأتحدث عن أي موضوع اختار،
من المناظر الطبيعية إلى الرجال إلى الكنيسة
وعن نفسي وعن الفن وإخبار أوربا..."

من تلكم الافكار والاشتباكات الاسلوبية والعقائدية انبثقت الاتجاهات الرافضة الجديدة، والتي نأت عن او رفضت، الافكار السياسية الرئيسة لبرالية او ماركسية أو محافظة متمسكة بالكلاسك أشكالاً وأفكاراً. وبعد اتساع حركة التمرد الشبابية وقوة واتساع الحركة النسوية المرتبطة بقضية الحرية، وبسبب ذلك، بالسياسة.. الحركة الشبابية والحركة النسوية اليوم حركتان سياسيتان هي اقوى واهم أوجههما.

ومما نجده اليوم في الكتابات الجديدة، سواء كان مقنّعاً أو ضمن ما نسميه عبثيات أو مشاكسات، هو رفض سياسي لواقع. يظهر هذا بصورة صعقات ضوئية، من تلك التي يطلقها شعراؤنا الشباب أو التي تطلقها شاعراتنا وكاتباتنا وهي بعض مما في العالم وتتصل بالحركة النسوية وحركات التمرد الشبابية. لا ارى صواباً أبداً النظر الى كتابات الشباب وتفسيرها بمعايير تقليدية او موروثة.

اما ان في هذه الكتابات ما فيها من حيث البناء والتعبير، فأشعارنا كلنا لا تخلو من هذه المآخذ وسواها، ولكن الناس تهتم بالايجابي المضيء في الاعمال.

من هذا المنطلق كان اهتمامي بالكتابات النسوية. فما كانت عبثاً كتابتي عن هذه الكاتبة او تلك الشاعرة، لستُ معنياً كثيراً بالأسماء، أنا اتابع بدايات الحركة النسوية عندنا وبذور التأسيس. واحاول الحاق توجعاتهن وعبارات التمرد والاحتجاج بالحركة النسوية في العالم.

فقول مثل: انا النهر، كرهت عذوبتي للسيدة بلقيس خالد، واتعبني طبنك ربي "للسيدة ايمان القحام يجب ان يُفهما بمعنى: "اتعبتني نسويتي" في هذا المجتمع الشرقي، التعامل مع نسويتي تعاملاً متخلفاً والانشغال بمظهري الخارجي عن انسانيتي. مجتمع ما يزال يتعامل مع المرأة، شاعرة، استاذة، فنانة، تعامل الجاهلي مع كمّ من اللحم "مكورة الساقين...اذا قامت يكاد يقعدها... الخ هذا البؤس في الذوق والاخلاق". هو يمتدح اللحم في المرأة ولحم الناقة واكتنازها بلغة واحدة. وهن في الوقت الذي يتطلعن فيه الى حياة جديدة نظيفة ومحترمة، ويواجهن الانحطاط الخلقي واللاتهذيب والاعراف الصارمة بلا معنى!

أي فهم لشعر الشباب وكتابات النساء اليوم بعيداً عن الحركات الشبابية في العالم وبعيداً عن الحركة النسوية العالمية، هو فهم قاصر، غير مقبول. ليس معقولاً ابداً ان نلحق كتابات جديدة تكتب في ٢٠١٢ بمفهوم وظواهر عتيقة تفصلنا عنها خمسة او عشرة قرون! لا بأس من توسيع الافق، هذا جيد. ولكن لنبدأ أولا بعصرنا ثم نتوسع. في هذا خيرٌ للدراسة النقدية وللنص وللمستقبل وذلك سيكون توسعاً كريماً ومفيداً. معنى ذلك ان لا ننسى هامش الحرية وهو هامش سياسي في أي من دراساتنا.

نعم، من حق أي دارس ان يخضع ما يقرأ لثقافته. وانا احترم هذا واحترمه، لكن للعصر متطلبات فهم عصرية لا بد من الالتفات اليها اولاً قبل الالتفات الى التاريخ. على اية حال كتابات الشباب وكتابات النساء اليوم هي كتابات رفض وتمرد ورغبات حادة او منكسرة في تغيير انظمة مجتمع، بأي اسلوب وبأية لغة كتبت. قد تلجأ الكاتبة او الشاعرة الى طريقة في التعبير كالصوفية او التسامي لكن هذه وسيلة حماية من مجتمع متعنت، هذا قناع!

انظروا بجد لما تقرأون ولا تستهينوا بأحد. فمثلما في هذه الكتابات شهادات على حال، هي بذور مستقبل ايضاً وتقع ضمن دائرة القصيدة السياسية الرافضة بمجمل حركتها! هي كتابات مناضلة، سياسية حديثة!

ارى مفيداً ان اشير الى اختلاط بعض القيم الفنية، واذكّرُ بما جاء في كتابي "حركة الانفاق في الشعر الانجليزي". وان شعر الاندركروند هو الشعر غير الرسمي، وما يكتب على جدران المحطات وفي الحمامات العامة والمغاسل وبيوت البغاء، وما يقرأ في الحانات والمسارح الرخيصة. وهذا النمط من شعر الرفض الساخر او القادح محمل جله بالافكار السياسية المضادة للسائد. هو ما افرزته الحركات السياسية الجديدة والحركة النسوية، فتبناه المتعاطفون من الشباب الذين يكرهون المؤسسات السياسية ولا ينتمون لها من ناحية، ويحملون المتاعب والاستياءات تلك التي تدعو لها تلك الاحزاب والمؤسسات من ناحية أخرى.

Arnold Kettle- Literature and Liberation، ١٩٨٨

حرف علّة

■ عواد ناصر

بغداد في رواية بريطانية

لم تقفل البريطانية أغاثي كريستي باب الرواية البوليسية وراءها، بل تركته مفتوحاً لمن سيأتي من بعدها، وهم كثيرون، آثروا هذا النوع المثير من السرد، بخلاف روايتنا العربية التي أدارت ظهرها للبوليسيات وانشغلت بحكايات الحروب والسياسة، موضوعات أثقلتها سنين عددا.

رواية أندرو ويلسون (عملية بغداد) الصادرة أخيراً، في بريطانيا، تدور في بداية القرن العشرين، حيث الصراع البريطاني – الألماني على أشده لاحتلال بلاد ما بين النهرين (العراق) وهل هناك من وسيلة سوى السكك الحديد للتوغل في تلك المنطقة النائية الغنية بالبترول؟

تأتي هذه الرواية ضمن السلسلة التي كتبها ويلسون عن المخبر (جيم سترينغر) العامل في سكة الحديد والذي تبدأ مغامراته مع بداية القرن العشرين، لتصبح مثالاً ناجحاً للعديد من كتاب الروايات البوليسية. جيم سترينغر في الأصل رجل إطفاء، سكير، يعيش حياة زوجية مضطربة، يترك عمله ليصبح مخبراً لشركة السكك الحديد في مدينة يورك. ولا يقتصر نشاطه عل اكتشاف المتهربين من دفع ثمن التذاكر بل شغفه اكتشاف سر العديد من جرائم القتل. ويكمن جمال الروايات المتعاقبة عن المخبر جيم سترينغر في انها تقدم دراسة تاريخية لتطور السكك الحديد في بريطانيا، والحياة في مطلع القرن الماضي في مقاطعة يوركشاير، اضافة لحبكتها التي تشد القارئ.

الرواية الأخيرة تبتعد في احداثها عن شمال انكلترا وتذهب إلى بلاد ما بين النهرين "ميسوبوتاميا" العراق. إذ تتحدث عن خط برلين – بغداد الذي كان الألمان ينون بناءه في مطلع القرن.

بعد انتهاء عصر الفحم كوقود للقطارات والسفن والتحول إلى النفط تغير تاريخ العالم، وأصبحت الدول المنتجة للنفط محط أطماع الدول القوية. ألمانيا كانت تطمع في حقول البصرة، لذلك بدأت مخططا لبناء خط سكة حديد يمتد من أوربا إلى تركيا فسوريا عبر الفرات ثم العراق وصولاً إلى البصرة، من دون أن يتخلى الألمان عن حلمهم الأبعد في تحقيق مخططهم ذاك وصولاً إلى الهند أيضاً، وهذا ما أثار قلق بريطانيا وكان بلا شك من أسباب قيام الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤.

تبدأ أحداث الرواية عام ١٩١٧ والحرب على أشدها وبطلنا سترينغر، جريح على الجبهة الغربية وقد تمت ترقيته إلى رتبة ضابط، يذهب لحضور اجتماع لنادي السكك الحديد في لندن، ويكلف من قبل المخابرات البريطانية بالذهاب إلى العراق للتحري عن ضابط تركي يعمل في العراق لمعرفة المزيد من التفاصيل عن خط برلين – بغداد.

تبدأ مغامرات التجسس في بغداد في زمن الحرب والصراع الدائر بين ألمانيا وبريطانيا للسيطرة على منابع النفط. ومع تطور الأحداث تنتهي الحرب وتبدأ المخاوف من ثورة عربية ضد الوجود البريطاني في الشرق الأوسط.. وهنا تتعقد الرواية وتنتهي بنصف حل يرضي القارئ ولكنه لا يجيب عن كل تساؤلاته.

تقول آن ويلسون في قراءتها للرواية: رواية أندرو مارتين ليست مجرد رواية بوليسية مليئة بالأحاجي والمفاجئات بل فيها الكثير من الروح الأدبية المشوقة. إذ يصف بغداد قائلاً: "إنها مدينة بدأت تأتي وتغدو مع تموجات نهرها ونخيلها، مع قبابها ومآذنها المدببة التي ترتفع في سمائها". كما أن الشخصيات فيها من النضج والتعقيد ما يجعلها شخصيات روائية بامتياز في أتراحها وأفراحها. كما يتناول مارتين بمهارة موضوعة الزواج بكل تقلباته ومتغيراته بجوانبه السلبية وأجوائه الحميمة وتفاصيل العلاقة الجنسية، مع امرأة متحررة تؤمن بحقوق المرأة وتطالب بها. فالبشر في الرواية لا يقلون أهمية عن خط السكك الحديد المتنازع عليه.

الرواية، باعتمادها التاريخ البعيد لبلاد الرافدين، تفرد صفحات عديدة للجانب السوسيولوجي في حياة سكان المنطقة ولا تكتفي بالتقليد البوليسي: البحث عن القاتل.

دعوة لتدريسه في الكليات تذكيراً بالدكتاتوريات

أدب السجون في أمسية لنادي الكتاب بكربلاء

كربلاء /أمجد علي

عدّ أدباء وصحفيون وكتاب وسجناء سياسيون أن من الضروري دراسة أدب السجون في الكليات والمعاهد العراقية بهدف التذكير بمرحلة الدكتاتورية وعدم السماح بإنتاجها من جديد، مؤكدين في أمسية أقامها نادي الكتاب احتفاء بالكاتب مهدي العكيلي احد السجناء السياسيين بمناسبة صدور كتابه (سجين ٦٣).

في بداية الأمسية قال مقدمها رئيس جامعة أهل البيت الدكتور عبود جودي الحلي: إن أدب السجون أدب عالمي وهو ينقل صورة لواقع اجتماعي وسياسي، وان أدب السجون لا يعني من زُج لأسباب جنائية بل ما يعني هو من اعتقل لأسباب سياسية وحوكم على أفكاره كونها تعرض السلطة.. وأضاف ان الكاتب العكيلي سجن سبع سنوات وتنقل بين أسوار السجون العراقية وتعرض للتعذيب ورأى كيف يعذب الساخرون فكان الإفراج عنه انه حفظ عن ظهر قلب كل ما دار لينتج لنا كتابه الأول عن أدب السجون.

وقال مهدي العكيلي: إن السجون لا تعني أنها مكان بين جدران بل هي حياة أخرى قد تكون سوداء ولكنها تعاند الإنسانية في كونها تريد الموت البطيء للإنسان في كينونته .. مذكرا بأن السجون تختلف باختلاف السجان التابع للسجان الأكبر وهو السلطة لذلك فان سجون الاستخبارات تختلف عن السجون الأخرى.

وأشار الى أن هناك غرفا تعرف بالغرف الحمر وكنا نرى ما لم يره حتى السجانون لان الحياة السادسة كانت تعمل لكي تبقى على قيد الحياة..مبينا ان في السجون قصصا كثيرة عن المعتقلين وهم ينتمون إلى شرائح مختلفة قد لا يجمعهم جامع فما بين ضابط في الجيش إلى أستاذ جامعي إلى نجار والى رجل أمي الجميع متهمون بأنهم يقفون ضد النظام حتى لو لم يكونوا كذلك.. مبينا ان الكتاب تناول أنواع التعذيب الذي يلاقيه السجين والذي جعلني أقول إنني سأكون مجرما لو خرجت من السجن لان العذاب يمكن يقدر عليه إنسان لو كان في الخراج لكننا تمكنا من البقاء على قيد الحياة على الأقل.

وتداخل الدكتور علي الفتال بقوله إن السجون واحدة في الأنظمة الدكتاتورية فهي ذاتها في العهد الملكي والعهد الجمهوري كون السلطة في واد والشعب في واد آخر.. موضحا ان في النظام الملكي سجنا لأننا كنا نهتف ضد سارقي قوت الشعب وفي العهد الجمهوري كذلك وفي عهد النظام السابق وربما الآن لا نريد أن نهتف ضد سارقي الشعب لأننا نريد حياة أجمل.. الكاتب خليل الشافعي قال إن موضوعة السجون ليست جديدة فهي أيضا موضوعة أثيرة للأدباء.. خاصة اذا ما عرفنا أن أدب السجون يظهر في أزمنة الطواغيت لذلك علينا أن نعمل من اجل الخلاص مما كان، والتخلص من مرحلة الأدلجة للآخرين واللون الواحد من خلال فهمنا للعلاقة بين السلطة والمواطن التي يراد لها أن ترتبط بالعقيدة التي لدى السلطة"، وأفاد "الحل يكمن دائما لدى الشعوب المتحررة إذا ما كانت دولة مدنية".. وتساءل الكاتب ستار الكركوشي.. هل استفدنا من هذه التجارب لصنع الحياة التي تغيرت لان السجناء كانوا كثيرين في زمن النظام السابق؟.. وأضاف ألم يتحول السجناء إلى جلادين ألم يتحول من أصبح في السلطة إلى سجانين .. موضحا انه علينا أن نرسم صورة ألا نسمح بزمن جديد يمحو الإنسانية من داخل الإنسان وان يكون الفكر متاحا.. وعبر الروائي والناقد علي لفتة سعيد عن قدرة المؤلف على الغور في أعماق الآخرين، فضلا عن تذكر ما مر به، إلا انه تساءل هل اعتمد على السرد لكي يوصل الوقائع فتأخذه المخيلة إلى سرد صور مبالغ فيها عن السجون أم إن السرد كان عينا لنقل الواقع؟ وأضاف المشكلة أن الكتب التي نقلت لنا واقع السجون اختلفت بين كتابها حتى بتنا نقول إنهم أدباء اقرب منهم إلى موثقي واقع وهذا لا يصب في صالح ما يتم توثيقه للمستقبل.

فلوبير بين الواقعية والرومانسية في سيرته الجديدة

ترجمة : عدوية الهلالي

كان فاشلا في دراسته وكسولا، وكان ذكاؤه دون المتوسط ما جعله يتأخر في دراسته ..هذا اقل ما يمكن أن يقال عن بداية حياة الروائي الشهير غوستاف فلوبير التي لم يتكهن لها احد بالتحول إلى ما آلت إليه ..لكن فلوبير (١٨٢١-١٨٨٠) صار واحدا من اكبر الكتاب الفرنسيين بعد ان أدرك ان نجاحه الحقيقي لم يكن في دراسة القانون بل في تكريس نفسه للكتابة التي يعشقها الى درجة المرض ..في كتاب جديد ، يقتفي المؤلف بيرنار فوكونييه آثار فلوبير الذي بلغ حد الوسواس المرضي المجنون بالكتابة متتبعا كل كلمة، وكل خطوة وكل لقاء اذ لم ينجح لا الحب ولا وفاة احبائه في ابعاده عن عشقه الحقيقي لدرجة ان فوكونييه اطلق على حالة فلوبير تسمية (الهذيان الادبي) ...

ويشير فوكونييه الى نقطة مهمة إذ أن ابتعاد فلوبير عن الآخرين والاستغراق في عالمه الخاص مع أوراقه لا يعنيان بالضرورة اتسامه بالغطرسة والكبرياء ، ذلك أن الكتابة بالنسبة له ليست مجرد نشاط او مهنة ..انها الحياة ذاتها ، ويستعير فوكونييه كلمات فلوبير الذي يقول "انها طريقة خاصة للحياة" ، وهذه الكلمات ذاتها استخدمها بيير مارك دي بياسي كعنوان جميل لكتاب سيرة ألفه من قبل عن فلوبير .. من جانبه ، كان للكاتب بيرنار فوكونييه روايته الأولى الرائعة (الوجود والعملاق) والتي تخيل فيها لقاءً بين جان بول سارتر والجنرال ديغول ...ويعد فوكونييه من اهم مؤلفي الروايات الخيالية ومن بينها (حريق سانت فكتوار) و(ارواح العائلة) ..كما كتب سيرتين واحدة عن الرسام العالمي سيزان والتي حاز عنها جائزة افضل كتاب سيرة وواحدة عن بتهوفن ..

ويعتبر فوكونييه استاذا في هذا الصنف الادبي اذ يبرع دائما في تقديم سير ناجحة لقرائه عن شخصيات شهيرة لدرجة ان بعض اعماله يجري تدريسها في الجامعة ..وفي ما يخص فلوبير فقد خصص فصولا كاملة من كتابه عنه لرواياته (التربية العاطفية) و(سالامبو) و(مدام بوفاري) ..واعتمد في كتابه على مراسلات مدهشة ونادرة تبلغ اكثر من ٥٠٠٠ رسالة بين فلوبير وكتاب عصره ومعارفه ايضا ..

ونعود الى فلوبير الذي امتلأ دماغه في صغره بالقصص التي كانت الخادمة ترويها له ما جعله شغوفا بقصص التاريخ في المدرسة ..وحين بدأ يكتب مسرحيات وقصصا لم يكن والده الطبيب يعلم بذلك لأنه اراده جراحا مثله وحين صارحه بذلك، ارسله الى باريس ليدرس القانون لكنه لم ما لبث ان تركه لينكب على الكتابة مصمما على احترافها وعاش في عزلة في ضيعته منقطعا للكتابة ومتواصلا مع الآخرين عبر رسائله اليهم ...كانت تنتاب فلوبير نوبات صرع غامض لازمته طوال حياته ما جعله يعزف عن الزواج ولكنه احب اكثر من مرة وكانت اولى حبيباته فتاة انكليزية تدعى " هنرييت كولييه " وكان ابوها ملحقا بحريا لبلاده في فرنسا ، ثم احب السيدة (اليزا شلي سنجر) التي كانت تكبره بتسع سنوات اضافة الى الشاعرة (لويز كوليه) التي حظيت بمكانة مرموقة في الاوساط الادبية لجمالها وليس لموهبتها الادبية وكانت قد طلبت منه الزواج فاعتذر لتتركه نهائيا ..واخيرا حبيبته جولييت درويه التي احبها طوال حياته ورسم ملامحها على شخصية (ايما) بطلة روايته (مدام بوفاري) ..

وينتمي فلوبير الى المدرسة الواقعية في الادب وعادة ما ينظر الى روايته (مدام بوفاري) باعتبارها اول رواية واقعية رغم ميله بعدها الى المدرسة الرومانسية ضمن روايات (غواية القديس انطونيوس) و(التربية العاطفية) ...

يحمل الكتاب الجديد الذي يتناول سيرته الحياتية والادبية عنوان (فلوبير) للمؤلف بيرنار فوكونييه ..ويقع في ٢٩٤ صفحة وقد صدر مؤخرا ضمن منشورات دار فوليو للنشر ...